اكتشاف (الصفر) في اللغة
ونتائجه على النحو العربي

الدكتورة سناء حميد البياتي

رشحت جامعة بغداد هذا الاكتشاف لمنافسات جائزة نوبل عام 2005

The Discovery of the (Zero) in Language and its Impact on Arabic Syntax

Dr.Sana .H. Al-Bayati

Baghdad University had nominated this discovery to Nobel prize, dated in 2005

اكتشاف الصفر في اللغة ونتائجه على النحو العربي

الدكتورة سناء حميد البياتي

جامعة بغداد / العراق

رشحت جامعة بغداد هذا الاكتشاف لمنافسات جائزة نوبل

THE DISCOVERY OF ZERO IN LANGUAGE

AND IT'S IMPACT ON ARABIC SYNTAX

Dr. Sana H Al-Bayati

Baghdad University - Iraq

Baghdad University Had Nominated This Discovery to Nobel Prize

المقدمة

.. لم يكن يخطر بفكري في الثمانينات من القرن الماضي (1981-1983) وأنا طالبة ماجستير أخطو خطواتي الأولى باتجاه البحث، أنني أنتهي من تلك المرحلة برسالة تحمل عنوان (نظام الجُملة العربية) وهو في الواقع نظام لكل اللغات التي يمكن الترجمة منها وإليها.

وليس ذلك بغريب أن يتمّ التوصل الى نظام اللغات عمومًا من خلال إحدى اللغات مادام مقرّ النظام في انتاج اللغات كافة يكمن في دماغ الإنسان.

ولا يُشترط فيمن يتوصل إلى نظام اللغات (قواعد النحو الكلي) أن يكون عارفًا أو ضليعًا بعدد كبير من اللغات، إذ يكفي أن يتوصل إلى النظام العام من خلال لغة واحدة - هي لغة الباحث في الغالب - وأن يختبر النتائج على لغة واحدة أخرى في الحد الأدنى، فإن زاد على واحدة في الاختبار فلن يغير ذلك شيئا من النتائج إذا كانت قواعد النظام صحيحة.

في موضوعي للماجستير كنت أبحث عن نظام الجُملة العربية، كنت أبحث عن الحقيقة العلمية التي تقف وراء انتظام الجمل كافة في اللغة العربية، وكنتُ على يقين أنّ نظامها يبدأ من دماغ مُنتجها، وأن لا مناص من الرجوع إلى الدماغ لاكتشاف ذلك النظام.

وكان للقراءات الكثيرة في كتب النحو القديمة بدءا من كتاب سيبويه، وكتب النحو الحديثة وأخص منها بالذكر كتاب (في النحو العربي نقد وتوجيه) للدكتور مهدي المخزومي، والقراءة المعمّقة الفاحصة لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الفضل الأكبر في شحذ ذهني وبلوغي درجةً من التحسس تفوق الحد الطبيعي، فتوغلت في دماغي أحمل معي كاميرا حسيّة، وجعلتُ دماغي مختبرًا، اختبرتُ فيه أنواعًا متعددة من الجُمل، وأنا أنطقُ بها وأتحسسُها مراتٍ ومرات، حتى اكتشفتُ المراحل التي تمرّ بها الأفكار قبل أن تولد فتصبح جُملا منطوقة أو مكتوبة، أي نظامها في الدماغ، وهذا النظام تشترك به جميع اللغات، وقواعده هي قواعد النحو الكلي (Universal Grammar) كما سيتضح من خلال الصفحات القادمة بإذن الله.

ما هو الصفر في مجال اللغة؟

اللغة إنجاز إنساني ميّز الله تعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات ومكّنه من أدائها لما يمتاز به دماغ الإنسان من قدرات هائلة، وتُعدّ اللغة من أكثر إنجازات دماغ الإنسان تعقيدا، وعند تحليل أية لغة من لغات البشر نجدُها تتألف من مجاميع من الجُمل، والجملة هي أصغرُ تأليف يعبّر عن فكرة تامة، والأفكار تنشأ في دماغ الإنسان، وفي دماغ الإنسان يتم تأسيس الجمل المعبّرة عن تلك الأفكار نطقا أو كتابة، وفي الدماغ يتمّ تنظيم العلاقات والربط بين الأجزاء التي تحتوي عليها الفكرة، وتُعدّ مرحلة التنظيم التي يتم بها إنجاز الجُمل وتحويل الفكرة التي تحتوي على أجزاء -أي مفاهيم متعددة- إلى جُملة تُعبّر عن أجزائها بكلمات مرتبطة بعضها مع بعض بعلاقات معنوية منظمة، هذه المرحلة التنظيمية التي تسبق ولادة الجُمل كافة هي مرحلة (الصفر) ومقرها في دماغ الإنسان .

إنّ مرحلة الصفر في تأليف الجُملة هي المرحلة الماثلة ما بين انبثاق الأفكار والجُمل المعبّرة عنها، وبعبارة أخرى هي مرحلة تأسيس الجُمل في الدماغ على وفق نظام معين مستقر فيه، وهذا النظام يرثه الإنسان كما يرث نُظمًا متعددة لإنجاز فعالياته المختلفة، وسأوضح تفاصيل هذا النظام الذي يُشغّله الإنسان عندما تتهيأ له ظروف التشغيل، وكما انّ الصفر في الرياضيات هو مرحلة بدء الأعداد وانطلاقها، وهو مرحلة تتوسط ما بين الأعداد الموجبة والأعداد السالبة، كذلك الصفر في اللغة، هو مرحلة البدء لإنجاز الجمل أو لإنتاجها لأنه مرحلة التنظيم والتأسيس التي تسبق ولادة الجمل بجميع أنواعها، وهو مرحلة تتوسط ما بين انبثاق الأفكار والجُمل المعبّرة عنها، وكما كان اكتشاف الصفر حدثا علميًا مهمًا في مجال الرياضيات ، كذلك حال اكتشاف مرحلة الصفر في مجال اللغة.

نظام مرحلة (الصفر) في الدماغ

ذكرتُ أنّ مرحلة الصفر في الإنتاج اللغوي تكمن ما بين الفكرة والجملة المعبّرة عنها، ويمكن القول إن الفكرة بعد انبثاقها، وبعد أن يتخذ الدماغ قرارًا بالتعبير عنها بواسطة اللغة، تدخل في

مرحلة الصفر، أي في معمل إنتاج الجُمل، وقد اكتشفتُ أن معمل إنتاج الجُمل في الدماغ مكوّن من ثلاثة أقسام، ينتقل العمل فيها من الكل إلى الجزء، ونظام عمل كل قسم كما يأتي:

القسم الأول :

يتم فيه تحديد المعنى العام للفكرة (الكل) فيما إذا كانت إخبارية مثبتة أو منفية أو استفهامية أو شرطية أو غيرها، وتحديد المعنى العام للفكرة إما أن يكون بدون أداة، وتلك هي الفكرة الإخبارية المثبتة، أو يتمّ تحديد المعنى العام للفكرة بأداة، وتلك للفكرة الاستفهامية والمنفية والشرطية وغيرها مما يتم تحديد معناها العام بأداة أو بطريقة معينة في الإنجاز بحيث يتميز المعنى العام للفكرة .

القسم الثاني :

في هذا القسم توجد مديرية الربط بين أجزاء الفكرة، ويتم في هذا القسم تحديد العلاقات المعنوية بين أجزاء الفكرة التي سبق أن تحدد معناها العام، وهذه المديرية تعمل بنظام هرمي لربط المدلولات أي الصور الذهنية للأجزاء التي تشتمل عليها الفكرة، وليس في اللغة عموما أكثر من أربعة معان ذهنية رئيسة رابطة تربط أجزاء الفكرة، واحد منها معنى مركزي رابط عليه تُبنى الجُملة وهو (الإسناد) وثلاثة معان ذهنية أخرى ترتبط بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهي:(التخصيص) و (الإضافة) و(التوضيح التابع).

ويشكل (الإسناد) رأس الهرم في النظام الهرمي الذي يعمل بموجبه هذا القسم من الدماغ لربط أجزاء الفكرة، وطرق الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة وهذه تدخل في نطاق القواعد الخاصة بكل لغة ، ثمّ ينتقل الإيعاز إلى القسم الثالث.

القسم الثالث :

يتم فيه تحديد الكلمات (الدوال) المناسبة واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في هذا القسم من الدماغ، وهذا القسم -مخزن- يُخزّن الكلمات باستمرار، فيتمّ اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن المدلولات التي اشتملت عليها الفكرة والتي قد تمّ ربطها بالمعاني الذهنية المذكورة سابقا .

فتخرج الفكرة من هذا المعمل وقد أصبحت جملة ذات معنى عام ومؤلفة من كلمات مرتبطة بعضها ببعض بعلاقات معنوية منظمة .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن قانون الفروق الذي تعمل به كل اللغات لأمن اللبس ولإيصال الأفكار بوضوح يجعل تحديد المعنى العام للفكرة يتمّ إما بأداة (كالفكرة الاستفهامية والفكرة المنفية والفكرة الشرطية) أو بدون أداة (الفكرة الإخبارية المثبتة) وتتباين الأدوات بتباين المعاني العامة، فللنفي أدواته، وللاستفهام أدواته ، وللشرط أدواته، وإذا اشتركت أداة واحدة لأكثر من معنى عام ففي نظم الجملة وتأليفها أو طريقة أدائها وتنغيمها ما يميز المعنى العام لإحداها عن الأخرى كالفرق الملاحظ في طريقة نظم الجملة وأدائها بين الجملة الاستفهامية والجملة الشرطية حينما تشتركان بأداة واحدة، في مثل هاتين الجملتين : مَن يقرأ ؟ مَن يقرأ يستفدْ .

توضيح

ولتوضيح كيفية تأسيس الجُمل (الخبرية المثبتة) في الدماغ قبل ميلادها، نحاول أن نتحسس ما يجري في الدماغ بعد انبثاق فكرة معينة وقبل التعبير عنها بجُملة، ولنأخذ مثلا هذه الجُملة (الوردُ جميلٌ) نُحسّ أولًا أن الفكرة انبثقت ولكنها ضبابية إلى حد ما - وهكذا كل الأفكار تنشأ ضبابية ولكنها تحتوي على مجموعة أشياء بصورة مفاهيم أو صور ذهنية منعكسة عن واقعها خارج الذهن أوعن مفهومها، وهذه الصور هي أجزاء الفكرة أو أركانها - وعندما يتخذ الدماغ قرارًا بالتعبير عن الفكرة باللغة تدخل الفكرة في معمل إنتاج الجُمل حيث يبدأ بتأسيس الجُملة، ويتم التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة، لأنّ التجرّد من الأداة دليلٌ على نوعٍ معين من الجُمل كما أنّ وجود أدوات دليلٌ على أنواع أخرى من الجُمل، ثم ينتقل الإيعاز إلى مديرية الربط حيث يتم تحديد العلاقة بين الركنين اللذين يشكلان فحوى الفكرة وهما: الصورة الذهنية للورد أي مدلوله ومفهوم الجمال، فيتم الربط بينهما بمعنى ذهني هو (الإسناد) حيث يُسند أحد المدلولين إلى الآخر، وطريقة الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة، وبعد هذا الربط بين الصورة الذهنية للورد ومفهوم الجمال ينتقل الإيعاز إلى المرحلة الثالثة حيث يتمّ فيها تحديد الكلمات المناسبة (الدوال)واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في هذا القسم من الدماغ، فتتحدد كلمة (الورد) دون غيرها ويتمّ اختيارها من بين كلمات كثيرة مخزونة من فصيلة المدلول نفسه مثل (الزهور، الأزهار، الورود، الأوراد....الخ) وتتحدد كلمة (جميلٌ) دون غيرها من الكلمات، ويتمّ اختيارها من بين كلمات كثيرة بهذا المفهوم مخزونة في هذا القسم مثل (لطيفٌ، نَضِرٌ، عَطِرٌ،...) ولكن لم يقع الاختيار على هاتين الكلمتين (الوردُ جميلٌ) إلا بعد أن تحددت العلاقة بين مفهوميهما أو صورتيهما الذهنية وبعد أن ربط المدلولين معنى ذهني هو(الإسناد) أي إسناد الجمال للورد،

وهكذا هي المراحل حتى تولد هذه الجملة الخبرية المثبتة المؤلفة من المسند إليه (الوردُ) والمسند (جميلٌ) مرتبطين بعلاقة (الإسناد).

إن الإشارة إلى الإسناد، هذا المعنى الذهني الرابط بين الكلمتين، تختلف من لغة إلى أخرى، والعربية اتخذت من العلامات الإعرابية وسيلة للإشارة إلى المعاني الذهنية الرابطة بين أجزاء الفكرة، وهذه تدخل في نطاق القواعد الخاصة بكل لغة، فبينما اتخذت العربية من الرفع (الضمة أو ما يقابلها) إشارة للربط الإسنادي، اتخذت الانكليزية أحد أفعال الكينونة إشارة للربط وحمّلته دلالة زمنية معينة هي الزمن الحاضر أو الماضي كما في (is,are,was,were). أما العربية فكان تجرد الجملة مما يدل على غير الزمن الحاضر أي عدم وجود (كان أو سيكون) دليلا على الزمن الحاضر فيها، فلا يمكن أن يكون الزمن غير الحاضر في جملة: (الطقُس معتدلٌ) مقارنةً بجملة (كان الطقسُ معتدلًا) التي تدل على الزمن الماضي أو (سيكون الطقسُ معتدلا) التي تدلّ على المستقبل.

ومثال آخر لمتابعة ما يجري في الدماغ بعد انبثاق الفكرة وقبل إنتاج الجملة، نحاول أن نتحسس كيفية تأسيس جملة أخرى تشتمل على مكونات أكثر من الجملة السابقة ، مثل جملة: (القى الشاعر قصيدةً عاطفيةً) نُحِسّ أولًا أن الفكرة نشأت وانبثقت من منطقة أو مركز انبثاق الأفكار، وهي فكرة إخبارية مثبتة ولكنها ضبابية إلى حد ما و تحتوي على عدة أجزاء أو مفاهيم، وعندما يقرر الدماغ التعبير عن هذه الفكرة باللغة تدخل الفكرة في معمل إنتاج الجمل حيث يبدأ الدماغ بتأسيس الجملة (ومن هنا يبدأ علم النحو طبقا لنظرية الصفر) فيبدأ التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة (لأن التجرد من الأداة دليلُ الجملةِ الإخبارية المثبتة) ثم ينتقل الإيعاز إلى مديرية الربط بين أجزاء الفكرة، فيتمّ الربط بين مدلولين يشكلان ركنين من أركانها وذلك بعد إدراك العلاقة بينهما فيربطهما معنى ذهني هو (الإسناد) فالإسناد هو الرابط المعنوي المركزي الذي تُبنى عليه الجملة، وترتبط به بقية المعاني الذهنية الرابطة، لذلك هو يشكّل (رأس الهرم) بالنسبة للمعاني الذهنية الأخرى المرتبطة به ، وكلّما يتحدد الرابط بين مدلولين ينتقل المدلولان إلى المرحلة اللاحقة أي تحديد الدوال المرتبطة ببعضها واختيارها ، فيتحدد الفعل (ألقى) من بين عدد كبير من الأفعال المخزونة في الدماغ وتتحدد كلمة (الشاعر) من بين عدد كبير من الأسماء المخزونة في الدماغ، فيولد الإسناد بهاتين الكلمتين المحددتين المختارتين. أما المعنى الذهني الآخر الذي يربط الجزء الثالث فهو (التخصيص) الذي يخصص الإلقاء ويحدده بأنه إلقاءُ قصيدة وليس خطبةً أو غير ذلك, وأخيرًا رابط (التوضيح) الذي يحدد صفة القصيدة بأنها (عاطفية) وليست سياسية أو اجتماعية أو

غير ذلك، ويرتبط الموضِّح بالموضَّح ارتباط التابع بمتبوعه، يلتصق به ولا ينفصل عنه وليس له كيان مستقل بذاته سواء أتأخر عن متبوعه كما في العربية أم تقدم عليه كما في الإنكليزية .

إن عملية اختيار الكلمات تأتي عقب عملية الربط بين مدلولاتها بزمن غير ملحوظ فما أن يتم الربط بين مدلولين بمعنى ذهني حتى ينتقل الإيعاز إلى مخزن الكلمات فيتم اختيار المناسب من الكلمات (دلالياً وصرفياً وصوتياً).

إن المعاني الذهنية الرئيسة الرابطة في كل أنواع الجمل وفي جميع اللغات لا تزيد على أربعة معان ذهنية رئيسة رابطة هي :

1- **(الإسناد)** وهو عملية عقلية تقوم برط المسند إليه بالمسند، والإسناد هو المعنى المركزي الرئيس الذي يشكل رأس الهرم وعليه تُبنى الجملة.

أما المعاني الذهنية الثلاثة الأخرى فهي ترتبط بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وهي : (التخصيص) و (الإضافة) و(التوضيح التابع).

2- (**التخصيص**) وهو عملية عقلية أو معنى ذهني واسع يضم تحت جناحه مجموعة معان نحوية كالمفعولات بأنواعها كافة، والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص ، فكلها لتخصيص الإسناد وتحديده وتضييق إطلاقه وعمومه ، ولكن كل نوع من المفاعيل يتخذ اتجاهًا في التخصيص غير الاتجاه الذي يتخذه المفعول الآخر، فبينما يخصص (المفعول به) الإسناد بما وقع عليه فعل الفاعل مثل (شربَ الطفلُ الحليبَ) تجد (المفعول فيه) يخصص الإسناد باتجاه زمن حدوث الفعل (المسند) مثل : (سافرَ الرجلُ مساءً) أو (شربَ الطفلُ الحليبَ صباحًا).

وهكذا فإن (التخصيص) رابط معنوي واسع، يتفرع باتجاهات متعددة وكلها ترتبط بالإسناد مباشرةً، والإسناد هو الرابط المعنوي المركزي الذي يشكل رأس الهرم .

3- **(الإضافة)** ويمكن تسميتها بـ(النسبة) أيضًا ، وهي عملية عقلية تعمل على الربط ما بين المضاف والمضاف إليه من حيث نسبة أحدهما إلى الآخر ، وكلاهما (المضاف والمضاف إليه) يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، مثل : (ثوبُ الطفلِ نظيفٌ) فالمعنى الذي يربط كلمة (ثوب) بكلمة (الطفل) هو (النسبة) أي نسبة الثوب إلى الطفل التي أدت إلى إضافة إحدى الكلمتين إلى الأخرى، ولا ننسى أن إحدى الكلمتين (ثوبُ) هي مسند إليه ، لذلك فإن الإضافة هنا ارتبطت بالإسناد (بالمسند إليه) مباشرة . وقد ترتبط بالإسناد بطريقة غير مباشرة مثل : (يحفظ الطلابُ شعرَ المتنبي) فنسبة الشعر إلى المتنبي ربطت بين هاتين الكلمتين بإضافة إحداهما

إلى الأخرى ، ولا ننسى أن كلمة (شعر) مرتبطة بالإسناد- بالمسند يحفظ - بمعنى ذهني هو (التخصيص) الذي خصص وحدد ما يحفظه الطلاب بأنه (شعرَ المتنبي) وهو ما وقع عليه فعل الفاعل ، لذا فإن الإضافة هنا ارتبطت بالإسناد بطريقة غير مباشرة .

والملاحظ ان النسبة التي تربط المضاف بالمضاف إليه تجعلهما بمثابة كلمة واحدة تعبران عن شيء واحد، فـ(ثوبُ الطفلِ) كلمتان في الشكل ولكنهما تعبران عن شيء واحد وليس شيئين. ولذلك فهما لا ينفصلان عن بعضهما وإذا ما تغيرت مواقع الكلمات يتقدمان معاً أو يتأخران معاً. .وهناك نوعٌ ثانٍ من الإضافة وهي بوساطة أدوات الإضافة المسماة في العربية بحروف الجر، والمجرور هو مضاف إليه تمت إضافته بوساطة الأدوات حيث لا يمكن معه الإضافة المباشرة مثل: (مررتُ بزيدٍ).

4 - (التوضيح التابع) وهو عملية عقلية أو معنى ذهني يعمل على ربط الجزء اللاحق أي الموضِّح بالاسم السابق لغرض توضيحه ، فيجعله مرتبطا به وتابعًا له ولا وظيفة له من غير متبوعه ، كالصفة التي ترتبط بالموصوف فتوضحه ، وكلاهما الصفة والموصوف يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فالارتباط المباشر مثل (الرجلُ المهذبُ محترمٌ) إذ إنّ كلمة (المهذبُ) ارتبطت بـ(الرجل) أي بالمسند إليه . والارتباط غير المباشر، مثل (قابلتُ رجلًا مهذبًا) فكلمة (مهذبًا) ارتبطت بـ (رجلًا) لتوضيحها باتجاه الوصف وكلمة (رجلًا) مرتبطة بالإسناد حيث خصصت وحددت ما وقعت عليه المقابلة، لذلك فالارتباط هنا غير مباشر.

والملاحظ ان المعاني الذهنية الرابطة التي تتعلق بالإسناد كلها تتجه نحو تضييق العموم وتقييد الإطلاق في الإسناد وتحديد الفكرة تحديدًا كاملًا

وهكذا فان كلمات الجملة مرتبطة بعضها ببعض بشبكة من العلاقات المعنوية تبدأ من رأس الهرم (الإسناد) وتتفرع باتجاهات معنوية متعددة .

فالإسناد : يربط المسند إليه بالمسند وهو رأس الهرم والمعاني الثلاثة الرئيسة المرتبطة بالإسناد هي:

التخصيص : يربط المفعولات كافة بالإسناد وكذلك يربط الحال والتمييز والمستثنى والمخصوص ، وكلٌ له جهة في التخصيص.

الإضافة: تربط ما بين المضاف والمضاف إليه. وهي نوعان: إضافة بدون أداة وإضافة بوساطة الأدوات، أي بوساطة أدوات الإضافة المسماة بحروف الجر .

التوضيح: يربط الصفة بالموصوف ، المؤكِّد بالمؤكَّد وغيرها مما سميت بالتوابع في النحو العربي

ولنلاحظ المعاني الذهنية أي المعاني النحوية التي ربطت أجزاء هذه الجملة:

(يتأملُ الإنسانُ العاقلُ خلقَ الكونِ) .

الإسناد: الذي حدد العلاقة بين (يتأملُ) و (الإنسانُ العاقلُ) وربطهما ببعضهما

2- **التوضيح:** الذي حدد العلاقة بين (الإنسانُ) و(العاقلُ) وربطهما ببعضهما .

3- **التخصيص:** الذي خصص وحدد العلاقة بين (يتأملُ) و(خلقَ الكونِ) وربطهما ببعضهما.

4- **الإضافة:** التي حددت العلاقة بين (خلقَ) و(الكونِ) وربطتهما ببعضهما .

ولولا هذا النظام في ربط الأجزاء لتبعثرت الكلمات، ولَما دلّت على معنى مفهوم. فهل تفهمُ شيئًا لو سمعتَ قائلًا يقول :

العاقل الكون الإنسان خلق يتأمل**!؟**

وقد تُؤسَس بعض الجُمل على بعض هذه المعاني الذهنية الرابطة كالإسناد والتخصيص. نحو: (كتبَ زيدٌ رسالةً) أو الإسناد والتخصيص والتوضيح، نحو: (كتبَ زيدٌ رسالةً قصيرةً) أو الإسناد والإضافة، نحو:(رسالةُ زيدٍ قصيرةٌ) وفي كل الأحوال لابد من الإسناد (رأس الهرم) عند تأسيس أغلب الجُمل وتنظيم العلاقات بين أجزائها.

أما الجُمل التي يتحدد معناها العام بالأدوات ، مثل الجمل الاستفهامية والجمل المنفية والجمل الشرطية ، فتحديد المعنى العام الذي يُهيمن على جو الفكرة بأداة معينة هو المرحلة الأولى في تأسيسها ، وهذا ما يميزها عن الجمل التي يتحدد معناها العام بدون أداة ، فيتمّ تحديد المعنى العام بالأدوات كأدوات الاستفهام وأدوات النفي، وترتبط الأداة بأحد أجزاء الجملة وهو – أي الجزء الذي ارتبطت به الأداة – واقع ضمن شبكة العلاقات ذات التنظيم الهرمي ، كهذه الجملة :

(هل فهمَ الطلابُ الدرسَ؟) فالاستفهام هو المعنى العام الذي يحتضن الفكرة وقد جاءت الأداة (هل) لتعبّر عن هذا الجو العام للفكرة، وقد ارتبطت (هل) بشبكة العلاقات ذات التنظيم

الهرمي وهيمنت على الجملة من خلال ارتباطها بالمسند(فهم) إذ تحددت العلاقات بين الأجزاء/ المدلولات وارتبطت بمعان ذهنية بتنظيم هرمي عقده (الإسناد) رأس الهرم الذي ربط المسند إليه (الطلاب) بالمسند (فهم) والمعنى الذهني الآخر (التخصيص باتجاه المفعول) الذي ربط الدرس بالإسناد ، وهكذا يهيمن الاستفهام على الجملة ويختص بالجزء المرتبط به .

ويمكن للرسم التوضيحي الآتي أنْ يُقدّمَ تصوّرًا تقريبيًا للمراحل الثلاث التي تمرّ بها الفكرة من أجل أن تولد فتكون جملة منطوقة أو مكتوبة، وما يجري في الدماغ من عمليات ذهنية، والتنظيم الهرمي لربط المدلولات، ثم اختيار الكلمات من أجل انتاج جُملٍ ذات معنى مفهوم.

تصوّر تقريبي لما يجري في الدماغ

مخطط لمراحل انتاج الجمل والتنظيم الهرمي للربط

1 – مخطط لمراحل انتاج الجملة الخبرية المثبتة (ذات المعنى العام بدون أداة)

(النعم نور)

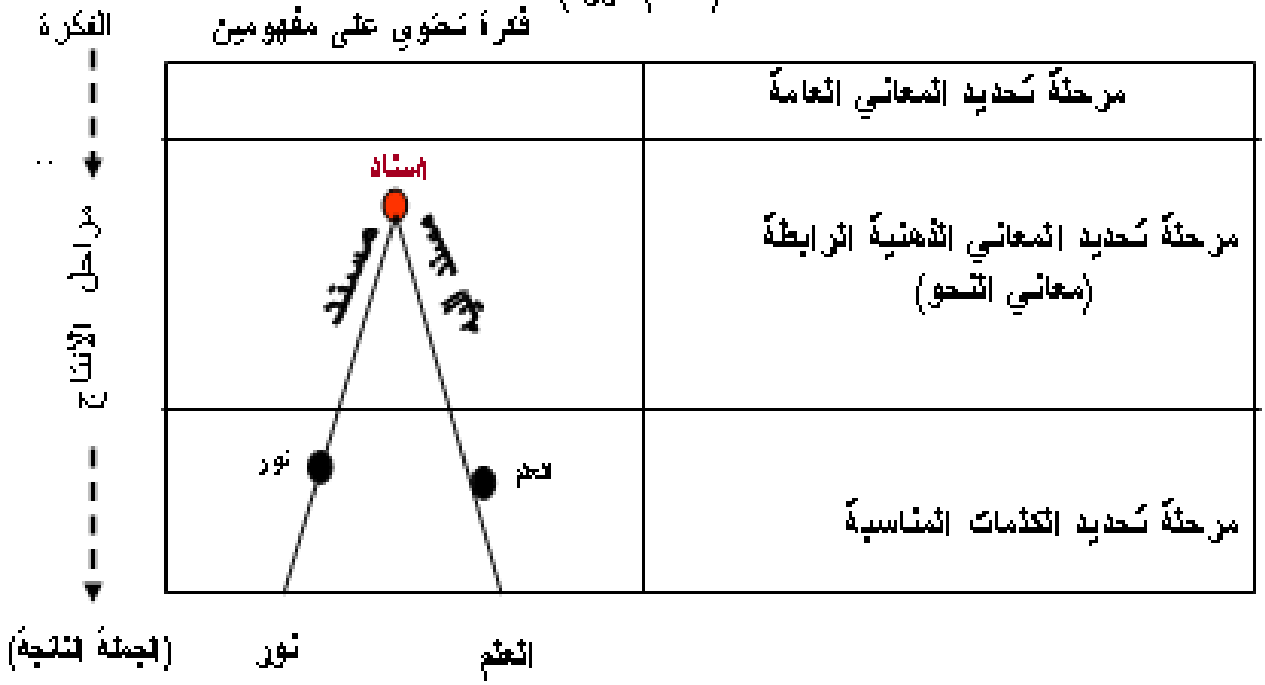

(يعبد الانسان العاقل خالق الكون)

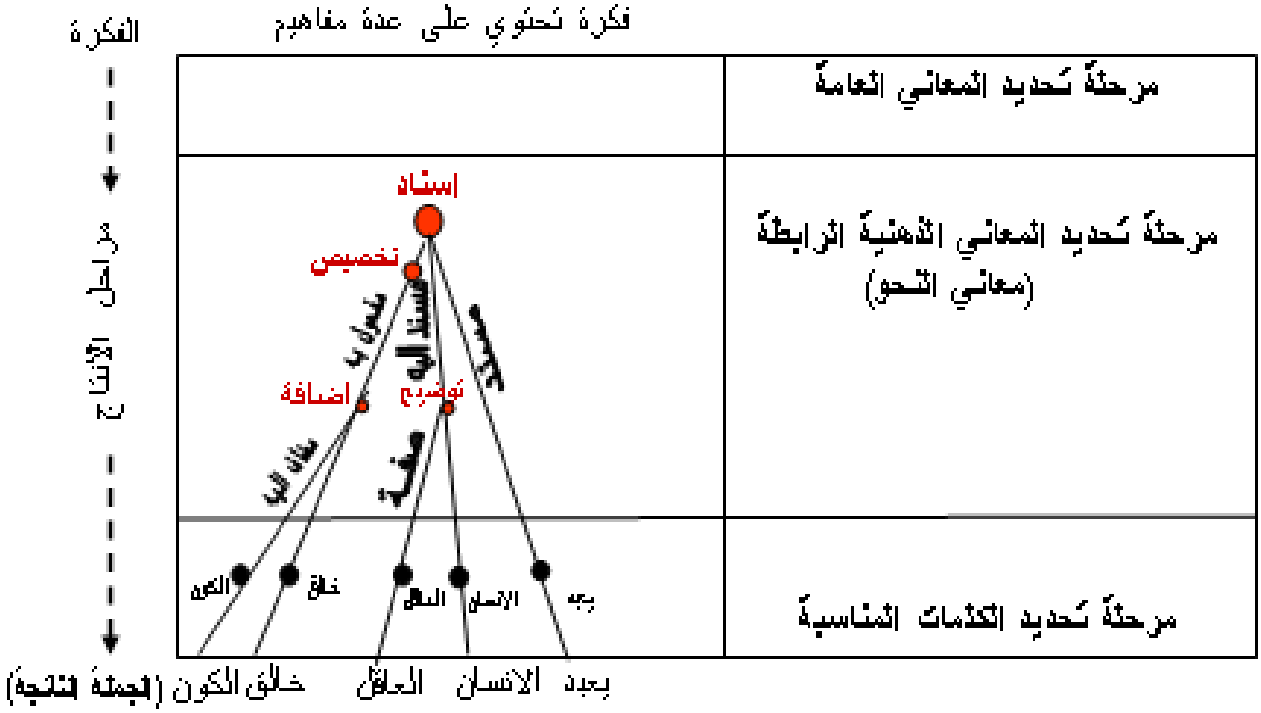

2- مخطط لمراحل انتاج الجمل ذات المعاني العامة (بالأدوات)

متى تأسست جامعة بغداد؟

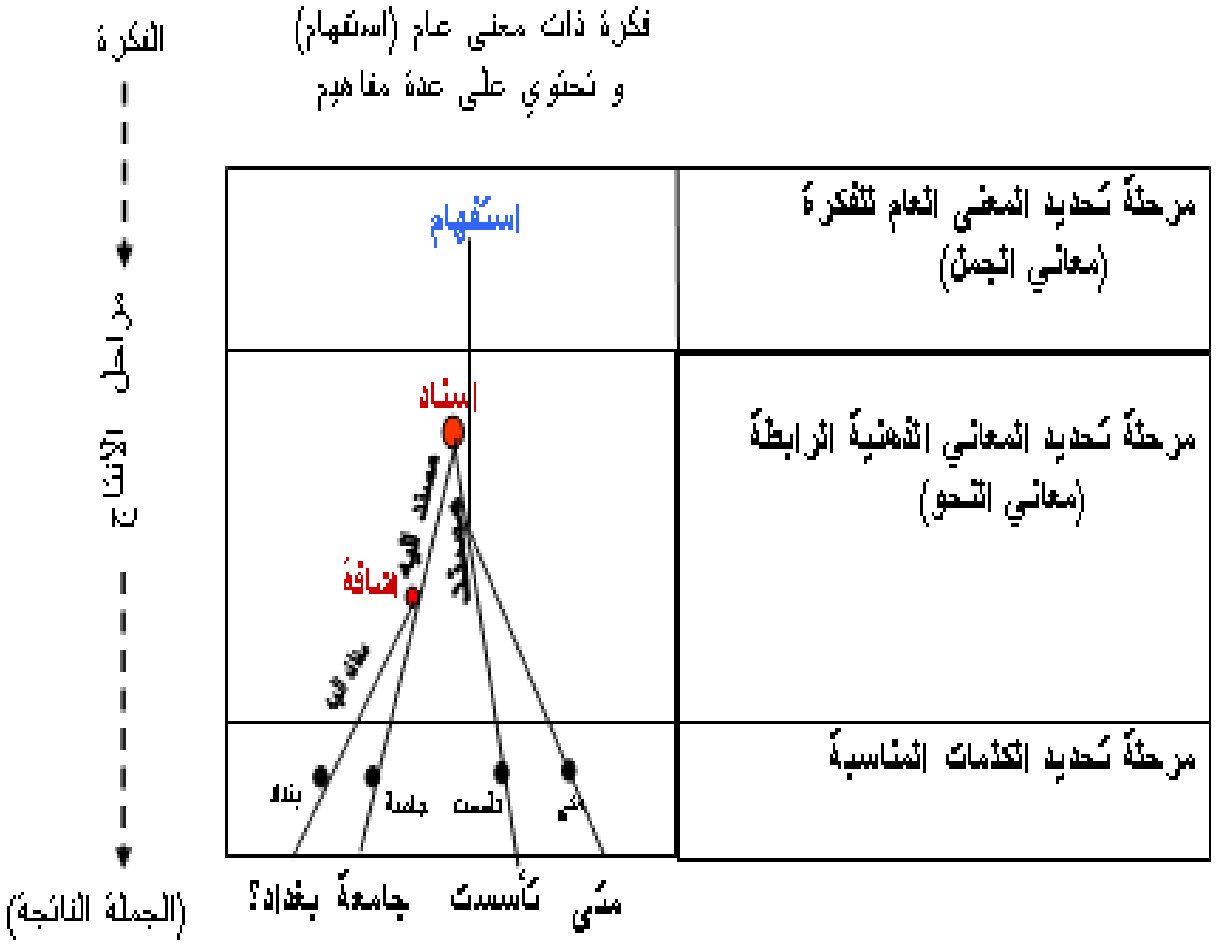

إن هذا التوضيح لكيفية تأسيس الجملة في دماغ الإنسان والمراحل التي تمر بها الفكرة إلى أن تولد في جملة لا يعني أن هناك زمنًا ملاحظًا يفصل بين الفكرة والجملة المعبرة عنها ، فما ان تنشأ الفكرة الاستفهامية حتى تعبّر عنها الأداة المناسبة، وما أن تتحدد العلاقات بين الأجزاء حتى يتم تحديد الكلمات المناسبة واختيارها، فتولد الجملة بكلمات متعلقة بعضها ببعض، وهكذا فإنّ كل معنى ذهني رابط يربط بين المدلولات يقترن بالكلمات المناسبة، والتعبير عن الفكرة يتم بعد انبثاقها بوقت غير ملحوظ، أي أن الزمن المستغرق في تحويل الفكرة إلى جملة لا يكاد يُلاحظ .

إن النظام الذي وصفته آنفا، والمراحل التي تمر بها الفكرة في دماغ الإنسان من أجل إنتاجها لتكون جملة منطوقة أو مكتوبة، هو النظام الذي تعمل بموجبه جميع اللغات لإنتاج الجمُل، وقواعده هي قواعد النحو الكلي

.(The Universal Grammar)

وهذا التوصيف لآلية عمل الدماغ ونظامه في إنتاج الجُمل يبقى صحيحًا ما لم تبرهن المعطيات اللاحقة عدم صحته.

نظرية الصفر للنحو الكلّي/ Universal Grammar

وضحتُ فيما سبق آليّة عمل الدماغ لإنتاج الجُمل من حيث المراحل التي تمرّ بها الفكرة إلى أن تصبح جملة ، بدءا من المرحلة الأولى: وهي تحديد المعنى العام للفكرة ، ثم المرحلة الثانية: الربط بين المفاهيم التي تشتمل عليها الفكرة ، ثم المرحلة الثالثة: وهي اختيار الكلمات أي الدوال المناسبة لمدلولاتها المرتبطة مع بعضها.

وذكرت أن الروابط في جميع اللغات لا تزيد على أربعة روابط هي:

الإسناد – التخصيص – الإضافة – التوضيح

وكلّها عمليات عقلية تعمل بنظام هرمي وتربط أجزاء الجملة ببعضها كي لا تتبعثر الكلمات فتفقد اللغة هدفها في وصول الرسالة مفهومة إلى المتلقي.

إن اشتراك اللغات في العمليات العقلية الرابطة بين الكلمات هو الحبل المشترك الذي مكّن المترجم من الترجمة، ولولا هذا الحبل المشترك لما استطاع المترجم الانتقال من لغة إلى اخرى.

وفي الرسوم الآتية توضيح للروابط المشتركة بين اللغات جميعا، وفيه تبدو العمليات العقلية الرابطة وقد اتخذت شكل دوائر ملونة، كل عملية عقلية ذات معنى ذهني بلون معين، وإيعازات الربط تبدو بشكل أسهم تربط بين العمليات العقلية أي المعاني الذهنية (النحوية) التي تشتمل عليها الجملة:

Zaid is smart

Zaid is studying

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الإنكليزية هي : **الإسناد**

Zaid traveled yesterday

Zaid visited the museum

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الانكليزية هي: **الإسناد** و **التخصيص**

Zaid's house is clean

Zaid went to the museum

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الإنكليزية هي : **الإسناد** و **الإضافة**

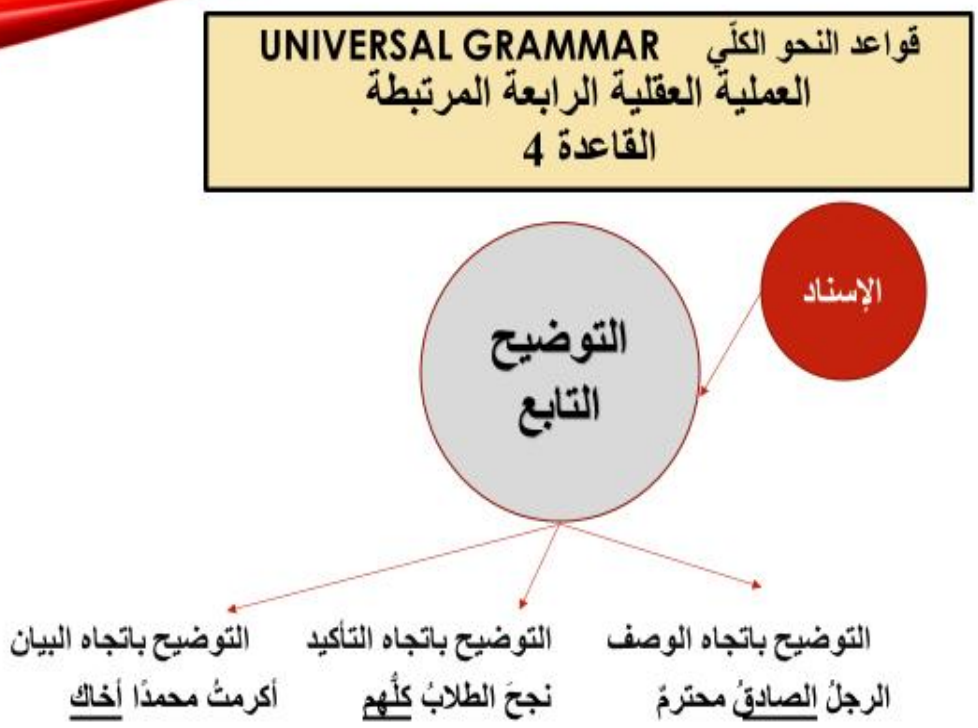

The smart student succeeded

Your brother Zaid succeeded

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الإنكليزية هي: **الإسناد** و **التوضيح**

اختبار النظام على بعض اللغات

فيما يلي اختبار النظام أي القواعد المشتركة على اللغة العربية واللغة الإنكليزية واللغة السويدية:

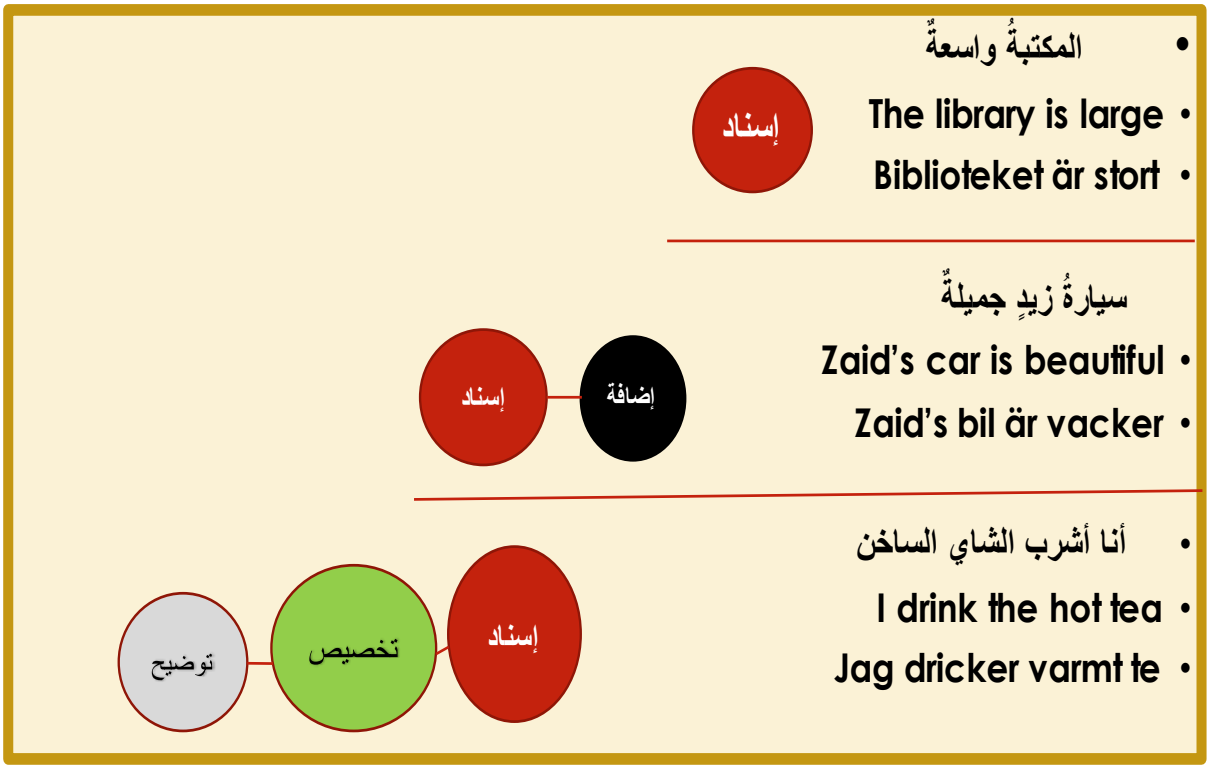

الفرق بين نظرية الصفر والنظرية التوليدية التحويلية

فيما يأتي أوضح الفرق بين نظرية الصفر والنظرية التوليدية التحويلية لجومسكي ما دامت كلتاهما تتبنى المنهج العقلي في التوصل إلى نظام اللغة في الدماغ البشري وتحديد قواعد النحو الكلّي:

1- لم يتوصل جومسكي في نظريته إلى معرفة آليّة عمل الدماغ ونظامه في إنتاج الجمل بينما وصفت نظرية الصفر نظام انتاج الجمل وحددت آليّة عمل الدماغ بثلاث مراحل ينتقل العمل فيها من الكل (العموم)إلى الجزء (الخصوص) وبما يتناسب مع إدراك الإنسان للأشياء ، والمراحل الثلاث هي: (مرحلة تحديد المعنى العام للفكرة) ، (مرحلة تحديد معاني النحو الرابطة بين مدلولات أجزاء الفكرة) ، (مرحلة تحديد الدوال/ الكلمات المناسبة لمدلولاتها).

2- لم يتوصل جومسكي إلى قواعد النحو الكلّي أي القواعد المشتركة بين اللغات Universal Grammar وهي معاني النحو الكبرى الرابطة بين أجزاء الجملة التي حددتها نظرية الصفر ب(الإسناد ، التخصيص ، الإضافة ، التوضيح).

3- طوّر تشومسكي نظريته من التوليدية إلى التوليدية التحويلية وفيها يتحدث عن (الجملة النواة) وكأن الجملة تولد في الدماغ بأصغر شكل ثم تتحول في الدماغ وبطريقة ما إلى شكل أخر بالتقديم أو الزيادة أو الحذف أو بتحويل الجملة من خبرية مثبتة إلى استفهامية أو منفية ثم تخرج في البنية السطحية بشكلها النهائي بعد التحويل الذي جرى عليها في الدماغ ، وهذا ما ترفضه نظرية الصفر رفضًا قاطعًا وتؤكد بطلانه لأن الجملة حسب نظرية الصفر تولد كما هي دونما تحويل من شكل إلى آخر ومعاني النحو الأربعة الرابطة هي النواة في تأسيس الجمل كافة بما فيها تلك التي سماها (الجملة النواة) فإذا كان هناك تقديم للمفعول به في الجملة فإن الإيعاز سيسقط على المفعول به قبل الفاعل ولأن الجملة تولد استفهامية أو منفية منذ البدء وذلك عندما يتحدد المعنى العام للفكرة في مرحلتها الأولى فهي لا تولد خبرية مثبتة ثم تتحول الى استفهامية او منفية.

وبذلك تكون (**نظرية الصفر**) قد توصلت للكشف عن النظام الذي تعمل بموجبه جميع اللغات في الدماغ البشري، وحددت أربع قواعد مشتركة بين اللغات جميعا هي قواعد النحو الكلّي (Universal Grammar) مقرّها في دماغ الإنسان، وبيّنت وجه الاختلاف عن النظرية التوليدية التحويلية، وأخيرًا تميزت بكونها نظرية صالحة للتطبيق في اللغة العربية عمومًا وفي القرآن الكريم على وجه خاص

نتائج تطبيق نظرية الصفر في اللغة العربية

أولًا: يكشف تطبيق نظرية الصفر إعجاز القرآن الكريم نحويًا:

ذلك لأن (نظرية الصفر) هي امتداد ونتيجة لمفهوم النظم وتوخي معاني النحو عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وإن تطبيق نظرية الصفر في لغة القرآن الكريم تفتح امام الباحثين أبواب إعجازه نحويًا، حيث يُصار إلى دراسة النص كما هو في التنزيل دونما إجراء تغييرات أو تقدير كلمات غير موجودة إرضاءً لقاعدة نحوية، كما في قوله تعالى: (إذا السماءُ انفطرت) حيث قدّروا (بحسب نظرية العامل) فعلًا محذوفًا يشبه الفعل المذكور(انفطرت) على أن يسبق الفاعل (السماء) أي التقدير: إذا انفطرت السماءُ انفطرت، والسبب أن القاعدة - بحسب نظرية العامل- لا تجيز تقديم الفاعل على فعله لأنه معمول والمعمول لا يتقدم على عامله، وبما أن الشرط يقتضي سياقا فعليا أي جملة فعلية لأنه تعليق حدوث حدث بحدوث حدث آخر، والحدوث من سمات الأفعال لذلك اضطروا إلى إدخال تغييرات على النص وإضافة كلمة غير موجود من أجل سريان قواعدهم المستندة إلى نظرية العامل، وكذلك أية نظرية لا تجيز تقديم الفاعل على فعله تخفق في كشف إعجازه في كثير من المواضع، لذلك اخفقوا في كشف إعجاز القرآن الكريم في هذا النص وأمثاله الذي تقدمت فيه كلمة (السماءُ) وهي فاعل للفعل (انفطرت) وإنما كان التركيب بهذا الشكل كي يجعل ذهن الملتقي يتعلق بالسماء وترتسم صورتها في ذهنه وتبقى عالقة في انتظار الفعل وذلك ما يجعل هول المنظر المتصوّر أكثر وقعا وتأثيرًا في المتلقي، وشتان ما بين قوله تعالى: (إذا السماءُ انفطرت) والنص المصطنع: إذا انفطرت السماء انفطرت.

كان هذا نموذجًا للفرق بين تطبيق نظرية الصفر وتطبيق نظريات أخرى عند محاولة الكشف عن الإعجاز القرآني نحويًا.

ثانيًا: تسهيل تعليم قواعد أية لغة للناطقين بغيرها

عندما نقيم المنهج النحوي بالاستناد إلى النظام العام لتأليف الجمل في اللغات كافة، يتيسر تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وكذلك تعليم اي لغة للناطقين بغيرها وذلك لوجود رابط مشترك بين اللغات كافة مما يسهل عملية التعلم لمن يتقن لغته ويفهم نظامها ويرغب في تعلم لغة أخرى تشترك في واقعها مع لغته بنظامها العام في تأليف الجمل.

ثالثًا: حوسبة اللغة

ربما ينفع اكتشاف النظام الي تعمل بموجبه اللغات كافة في مجال حوسبة اللغات، وهذا الأمر يتطلب متخصصين في حوسبة اللغة.

رابعًا: إصلاح جذري لمناهج تعليم قواعد اللغة العربية على وفق منهج جديد يستند إلى نظرية الصفر:

وفيما يأتي صفات المنهج المقترَح الذي يستند إلى نظرية الصفر بالمقارنة مع المنهج التقليدي المستند إلى نظرية العامل:

1- يُلغي المنهج المقترح فكرة العمل والعامل في النحو العربي وما يترتب عليها كمنع تقديم الفاعل على فعله، وبهذا يختلف تحديد نوع الجملة في هذا المنهج عن المنهج التقليدي ، فكل من جملة (نجحَ زيدٌ) و(زيدٌ نجحَ) فعلية، و (زيد) فاعل في كلتا الجملتين سواء أكان متقدما على فعله أم متأخرا عنه، وما التقديم إلّا للاهتمام والتركيز على الجزء المتقدم أو لأسباب أخرى.

2-عندما يكون الفاعل مذكورًا ومصرحًا به في الجملة أو في السياق فكل ما يرتبط بالفعل من أحرف إنما هي لواحق للمطابقة، أي مطابقة الفعل للفاعل المتقدم، المطابقة في التأنيث والتذكير وفي العدد، ولا فرق بين تاء التأنيث الساكنة في كونها لا محل لها من الإعراب عن سواها من اللواحق الدالة على المثني المذكر أو جماعة الذكور أو جماعة الإناث، فالتاء المرتبطة بالفعل في (الطالبة نجحتْ) والألف في (الطالبان نجحا) والواو في (الطلاب نجحوا) والنون في (الطالبات نجحن)، كلها لواحق لمطابقة الفعل للفاعل المتقدم.

3- يُلغي المنهج المقترح المستند إلى نظرية الصفر فكرة النسخ في النحو العربي كليًا، والأبواب التي جمع فيها النحو التقليدي عددا من الأفعال سُميت بالأفعال الناسخة مثل باب (كان وأخواتها) وباب (ظن وأخواتها) و(أفعال المقاربة والشروع) والأحرف الناسخة

التي سُميت بالأحرف المشبهة بالفعل أي (إنّ وأخواتها/ وهي لا شبَه لها بالفعل من حيث الدلالة إطلاقا) كل هذه الموضوعات تُدرس بطريقة مُيسّرة مقنعة مستندة إلى المعنى، إذ لا يمكن أن يكون أصلُ أية جملةٍ جملةً أخرى؛ لأن أصلَ كل جملة هو المعاني الذهنية التي انتجتها وهي التي تربط بين كلماتها. فمثلا لا يمكن أن يكون أصل جملة (ظننتُ زيدًا وفيًا) هو (زيدٌ وفيٌ) ثم دخلت (ظنّ) فنسخت المبتدأ والخبر وجعلتهما مفعولين لها. ومثل ذلك جميع النواسخ.

4- بما أن أصلَ أية جملةٍ يستندُ إلى المعاني الذهنية المؤسسة لها والكامنة في الذهن وليس أصلُها جُملةً أخرى، يعالج المنهج المستند إلى نظرية الصفر موضوع (المبني للمجهول) بطريقة مختلفة عن الطريقة التقليدية، ويقدّم أفعاله على أنها صيغٌ خاصة : (صيغة فُعل) و(صيغة يُفعل) وهي أفعال تُسند لغير الفاعل الحقيقي، وإذا يُراد إرجاع هذا النوع من الجُمل لأصلها فأصلها في دماغ منتجها متمثلًا بإسناد الفعل وهو بصيغة معينة لغير الفاعل الحقيقي، ولا يصح أن نربطها بجملة أخرى نخترع لها فاعلا ونعدّها الأصل، وإنما هي صِيغ متنوعة للأفعال منها ما يُسند إلى الفاعل الحقيقي، ومنها ما يسند لغير الفاعل الحقيقي.

وهكذا ينظر المنهج المقترح إلى الجملة ذاتها ومن خلال السياق الذي تكون فيه من دون إرجاعها قسرًا إلى جملة أخرى فيها فاعل نحدده بالتخمين وندعي انها الجملة الأصل.

5- لا يلجأ المنهج المقترح للتقدير، وأقصد به التقدير المُخل بالمعنى، لأن القواعد تُستخلص من معنى الجملة ومن السياق كما هو موجود أمامك في النص، فلا يُفرض على النص ما ليس فيه لأجل قاعدة مُسبقة، فليس هناك تقدير لفعل محذوف يسبق الفاعل في مثل قوله تعالى: (إذا السماءُ انفطرت). وليس هناك تقدير لاسم (لات) محذوف في قوله تعالى: (فنادوا ولات حين مناص) إذ لا يصح اختراع كلمات غير موجودة من أجل إرضاء القاعدة المفروضة على الجملة. أما منهج نظرية الصفر فينظر إلى الجملة ككل من أجل أن تنبثق القاعدة من الجملة ذاتها، ويُنظر إلى الأجزاء على أنها وحدات تتآلف مع بعضها من أجل تحقيق المعنى المطلوب.

6- يكشف منهج نظرية الصفر عن دلالات كثيرة لأبنية الأفعال غير دلالتي (الحدث والزمن) التي اقتصر عليها المنهج التقليدي، وأهم دلالة في الأفعال لم يُسلّط عليها

الضوء هي دلالة (الحدوث) والواقع إن الفعل ليس ما دل حدث مقترن بزمن فقط، وإنما هو ما دل على (حدث) و(حدوث مقترن بزمن)، أي إن (الحدوث) هو الذي يقترن بالزمن وليس الحدث، ودلالة الحدوث هذه هي الدلالة المشتركة بين أبنية الأفعال جميعًا، وهي التي تتجه اتجاهات مختلفة تبعًا لمعنى الجملة، فاقتران (كاد) أو إحدى أخواتها بالفعل يُقرّب حدوث الفعل، نحو: (كادَ الطفلُ يغرقُ)، واقتران (كان) أو إحدى أخواتها بالفعل ـ عدا ليس ـ يوجه زمن حدوث الفعل إلى جهة زمنية معينة أو إلى توقيت في ذلك الزمن ، نحو (كان الطفلُ يلعب) أو(أمسى المريضُ يتألمُ)، وثمة دلالات أخرى خاصة بكل صيغة من صيغ الأفعال داخل الجملة مما يعزز قولنا بثراء العربية وقدرتها على التعبير عن أدق المعاني .

7- استنادًا إلى الملاحظة السابقة وخلافًا للمنهج التقليدي، فإن في اللغة العربية **أفعالًا مساعدة** كما في أكثر اللغات، وهي نوعان : منها ما يساعد الفعل الرئيس في توجيه زمنه إلى وجهة معينة، ومنها ما يساعد الفعل الرئيس في توجيه الحدوث نحوَ الشروع أو نحوَ المقاربة.

نلاحظ المثال الآتي :

(**كانت** الغيومُ **تملأُ** السماءَ، ثم **بدأ** المطرُ **ينهمرُ** بغزارةٍ، و**كادت** الشوارعُ **تغرقُ** من كثرةِ المطر).

في هذا المثال دليل على أن حدوث الأفعال كلها كان في الزمن الماضي، فالفعل المساعد (كانت) قد وجه زمن الفعل (تملأ) باتجاه الماضي ، والفعل المساعد (بدأ) قد وجه الفعل (ينهمر) باتجاه الشروع، والفعل المساعد (كادت) قد وجه الفعل (تغرقُ) باتجاه المقاربة.

8- يستطيع المنهج المقترح أن يحلّ مشكلة الزمن في الفعل؛ لأن **الفعل بناء يتقبل الزمن بمختلف اتجاهاته ومعنى الجملة هو الذي يحدد زمنه**، لذلك فإن تحديد زمن الفعل لا يتم إلا من خلال الجُملة، ومعنى الجُملة هو الذي يحدد اتجاه زمن الفعل فيها، ولكن المنهج التقليدي درس الفعل منفصلًا عن جملته ولم يراع السياق فلم يتوصل الى الدلالات الزمنية المتعددة للأفعال في العربية. وعندما نستنبط زمن الفعل من خلال الجمل والسياق نجد أزمنة كثيرة ومتنوعة في لغتنا، ونجد أن

المنهج التقليدي كان قاصرًا في كشف الاتجاهات الزمنية المتنوعة في اللغة العربية .

9- لا تخلو أية جملة مهما كان نوعها من الدلالة على الزمن بما في ذلك الجملة الاسمية التي تفتقر للحدث والحدوث وليس للزمن . لاحظ الزمن في قولك مثلًا:

الطقسُ معتدلٌ	تقصد الآن أي الحاضر
كان الطقسُ معتدلًا	الماضي
سيكون الطقسُ معتدلًا	المستقبل

إن وجود (كان) أو (سيكون) في الجملة لا يرشحها للفعلية ما دام الخبرُ - أي المسند - اسمًا ، وإنما يمنحها زمنًا محددًا. وهذا ينطبق على بعض اللغات الأخرى كاللغة الإنكليزية التي ظن دارسوها أنّ اللغة الإنكليزية لا تحتوي على جمل اسمية معتقدين أن ألفاظ (الكينونة/ is , was) الدالة على الزمن تُرشّح الجُمل للفعلية، والواقع انّ الزمن وحده لا يُرشّح الجملة للفعلية إذا لم يرتبط بحدث وحدوث.

لاحظ الفرق بين هاتين الجملتين:

Ali is a teacher = علي معلّم

جملة اسمية في كلتا اللغتين لأن المسند فيهما اسم

Ali teaches the students = علي يُعلّم الطلاب

جملة فعلية في كلتا اللغتين لأن المسند فيهما فعل. وهذا دليل على تشابه اللغات في القواعد الرئيسة لبناء الجُمل.

10- بناء (افعلْ) أي فعل الأمر مبني على العلامة الموجودة على آخر البناء، أي على الضم في (اذهبوا) وعلى الفتح في (اذهبَا) وعلى الكسر في (اذهبِي) ولا يصح أن يقاس على الفعل المضارع المتصل بمثل هذه الضمائر فيُقال إنه مبني على حذف النون، وأين هي تلك (النون) المزعومة في أفعال الأمر!!

11- لا يشترط المنهج المقترح الالتزام بالمصطلحات التي لا تدل على المعنى النحوي للكلمة في الجملة، كمصطلح (المبتدأ) الذي يشير إلى موقع الكلمة، وبما أن الكلمة في الجملة العربية لا تلتزم موقعاً بعينه ، فهي تتقدم أو تتأخر على حسب متطلبات المعنى لذلك يقترح المنهج مصطلح (المسند إليه) المعروف أو (المخبَر عنه) بديلاً لمصطلح (المبتدأ) لكي يتناسب مع مصطلح (الخبر/ المسند) في الجملة الاسمية المؤلفة من (خبر ومُخبَر عنه أي مسند ومسند إليه)، وكذلك (حروف الجر) تصبح (أدوات الإضافة) نظراً لوظيفتها في الجملة، ويلغي المنهج المقترح مصطلح (المضارع) الذي لا علاقة له بأية دلالة من دلالات صيغة (يفعلُ).

12- يركز المنهج المقترح على قواعد الربط بين الكلمات وبين العبارات من أجل بناء الجُمل ، ثم الربط بين الجمل من أجل تأليف النصوص. كما في الأمثلة الآتية:

(فرددناه إلى إمه كي تقرّ عينها) جملة واحد مؤلفة من عبارتين مرتبطتين بأداة الربط (كي).

(وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء ، وقضي الأمر، واستوت على الجودي ، وقيل بُعدًا للقوم الظالمين)

سياق مؤلف من عدة جمل مرتبطة مع بعضها برابط (الواو).

خامسًا:

العلامات الإعرابية في اللغة العربية دليل على العقل العربي المنظم

العلامات الإعرابية بحسب نظرية الصفر قرائن دلالية فائقة الدقة وتدل على أن العقل الذي أنتج اللغة العربية بعلاماتها المعرفة عقل دقيق ومنظم، وتجد العلامات الإعرابية في الأسماء المعربة وفي الفعل المسمى بالفعل المضارع، وهو الفعل الوحيد المعرب ما عدا حالة استثنائية لا تشكل ظاهرة في الفعل المضارع، وعند ملاحظتنا للعلامات الإعرابية في الأسماء نجدها تدلّ على المعنى النحوي الرئيس الذي يؤديه الاسم في الجملة، أي تدل على وظيفته في الجُملة، وفي العربية توزيعٌ دقيقٌ لهذه العلامات وكما يأتي إيضاحه:

العلامات الإعرابية في الأسماء

1- لتمييز المعاني النحوية الرئيسة الرابطة في الجملة

ميّز العقل العربي العمليات العقلية الرابطة أي المعاني النحوية المختلفة بعلامات مختلفة لتمييزها من بعضها، والحالات الإعرابية في الأسماء ثلاث هي: الرفع – النصب – الخفض.

علامات الرفع وعلامات النصب وعلامات الخفض معروفة من حيث اختلافها بين المفرد والمثنى والجمع السالم والأسماء الخمسة ...الخ، ولكن ما نريد ملاحظته كيف وزّع العقل العربي الحالات الإعرابية بعلاماتها المعروفة على الأسماء المعربة:

1- **(الرفع)** ميّز به المعنى المركزي أي **(الإسناد)** الذي تُبنى عليه الجملة ما لم يطرأ عليه طارئ من المعاني العامة ، نحوَ: المخلصُ محترمٌ / المخلصون محترمون....

2- **(النصب)** ميّز به المعنى الذهني المتعلق بالإسناد وهو **(التخصيص)** أو التحديد وله اتجاهات متعددة تشمل المفاعيل كافة والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص ، وكذلك هو (أي النصب) للأسماء التي تقتضي التخفيف في المواضع الثقيلة، وبذلك يكون النصب لكل ما خرج من دائرة الإسناد ولم يدخل في حيّز الإضافة. نحو: يعالجُ الطبيبُ **المريضَ** / يقدرُ المديرُ **المجتهدينَ**

3- **(الخفض)** ميّز به معنى **(الإضافة)** سواء أكانت الإضافة بدون أداة أم بوساطة أدوات الإضافة المسماة في المنهج التقليدي بحروف الجر. نحوَ:

ألقى المديرُ كلمةً **في قاعةِ المدرسةِ .**

أما رابط (التوضيح) فالاسم الموضِح يماثل الموضَح أي يتبعه ويماثله في علامته رفعًا ونصبًا وخفضًا. نحو:

ألقى المديرُ **الجديدُ** كلمةً **رائعةً** في القاعةِ **الكبيرةِ** .

وهكذا نلاحظ التوزيع المنظم للعلامات الإعرابية على المعاني النحوية في أنّ كلّ معنى نحوي ذهني رابط قد تميّز بعلامة خاصة به.

2- اختلاف الدور الوظيفي والمعنوي للكلمة يتبعه اختلاف العلامة

نلاحظ أن المسند إليه عندما يكون رئيسًا في جملته وقد بنيت عليه الجملة الخبرية يأتي مرفوعًا، فإذا لم يكن رئيسًا في جملته بل متعلقا بالجزء الرئيس في الجملة، أو لم يكن للإخبار يأتي منصوبًا .

فالفرق في الوظيفة وفي المعنى يتبعه فرق في العلامة.

لنلاحظ الفرق الوظيفي والمعنوي للمسند إليه في الجمل الآتية:

1- **الطقسُ** معتدلٌ — أتوقع أنّ **الطقسَ** معتدلٌ

2- **الطقسُ** معتدلُ — الفصلُ شتاءٌ لكنّ **الطقسَ** معتدلٌ

3- **الطقسُ** معتدلٌ — ليت **الطقسَ** معتدلٌ

4- **الطقسُ** معتدلٌ — لعل **الطقسَ** معتدلٌ

المسند إليه (الطقسَ) في جُمل الحقل الثاني لم يكن له نفس الدور الوظيفي أو المعنوي كما في جُمل الحقل الأول، فهو إما كان مرتبطًا ومتعلقًا بعبارة سابقة كما في المثالين الأول والثاني، أو لم يكن للإخبار كما في المثالين الثالث والرابع.

العلامات الإعرابية في الفعل:

أما حالات الإعراب في الفعل بعلاماتها المعروفة، وأقصد حالة الرفع بالضم أو ثبوت النون في الأفعال الخمسة، وحالة النصب بالفتح أو حذف النون، والجزم بالسكون أو حذف النون، فلتمييز الفروق المعنوية للفعل داخل الجملة وهذه الفروق هي :

- **تمييز الفروق في الوظيفة:** نحو (يسرُّني أن تنجحَ) يسرُّ: مرفوع لأنه الفعل الرئيس الذي بُنيت عليه الجملة ، تنجحَ : منصوب لأنه فعل متعلق أو مرتبط بالفعل الرئيس على معنى الفاعلية، فالفرق في الوظيفة تبعه فرق في العلامة. وكذلك كل الأفعال المرتبطة بعبارة رئيسة تميزت عن الفعل الرئيس بحالة النصب . نحوَ:

أدرسُ كي أنجحَ / أساعدُ الأصدقاءَ فأنالَ محبتهم / أتمرنُ كثيرًا لأفوزَ في السباق...

لذلك فإن بعض الأدوات المسماة بأدوات نصب الفعل المضارع إنما هي أدوات ربط، تربط العبارة اللاحقة بالعبارة الرئيسة التي بُنيت عليها الجملة، ونصب الفعل المضارع لم يكن بسبب عمل هذه الأدوات وإنما هو للفرق الوظيفي بين الفعلين ولتمييزه بعلامة مختلفة عن علامة الفعل الرئيس في الجملة.

- **تمييز الفروق في الاتجاه الزمني للفعل في الجمل المنفية** : فالرفع لنفي الفعل في الزمن الحاضر، نحو: (لا يشاركُ زيدٌ في السباقِ). والنصب لنفي الفعل في المستقبل، نحو: (لن يشاركَ زيدٌ في السباق). والجزم لنفي الفعل في الماضي، نحو:(لم يشاركْ زيدٌ في السباق). فالفرق في الاتجاه الزمني للفعل المنفي تبعه فرق في العلامة.

- **الفروق في حدوث الحدث من حيث التحقق أو عدم التحقق يتبعه فرق في العلامة في كثير من الأفعال** :

لاحظ الفرق بين حالة الرفع وحالة الجزم والسبب، وكيف ان العقل العربي ميّز كل حالة بعلامة خاصة :

(يلعبُ فريقنا ، سيلعبُ فريقنا ، سوف يلعبُ فريقنا) الفعل مرفوع لان حدوث الحدث متحقق او في إطار التحقق.

في الشرط (إن يلعبْ فريقنا يفزْ) الفعل مجزوم (معدوم العلامة) لأن حدوث الحدث غير متحقق وهو مُعلّق ، فالفريق لم يلعب وإنما (إنْ يلعبْ) تلاحظ الحدوث غير حاصل ، فلا هو متحقق ولا في إطار التحقق، إذ إنّ في الشرط حدثين، حدوثُ أحدهما معلّقٌ على حدوث الآخر.

في النهي (لا تلعبْ مع فريقنا) الحدوث غير متحقق أيضا ، لان الحدث (الفعل) منهي عن إحداثه، لذلك انعدمت العلامة.

في الأمر (ليلعبْ فريقنا) حدوث الحدث غير متحقق لأنه أمر بإحداث الحدث.

- **تمييز الفروق في الإسناد عند الاتصال بنون التوكيد** : نحو(لا تجرحَنّ المشاعرَ) للمفرد (لا تجرحُنّ المشاعرَ) لجماعة الذكور (لا تجرحِنّ المشاعر) للمؤنث و(لا تجرحانِّ المشاعرَ) للمثنى، فإذا أسند الفعل لجماعة الإناث فاقترن بنون النسوة جاء ساكنًا مراعاة للفروق ولأمن اللبس (لا تجرحْنَ المشاعرَ) .

فالفرق في مَن أسنِدَ إليه الفعل تبعه فرقٌ في العلامة في آخر الفعل.

وبهذا العرض تنهار نظرية العامل إذ يتضحُ أن الحالات الإعرابية بعلاماتها المختلفة جاءت إشارات لتمييز المعاني المختلفة أو مراعاةً للفروق لأجل أمن اللبس ، سواء أكانت علامات مختلفة في الأسماء المعربة ، أم كانت علامات مختلفة في الفعل - صيغة (يفعلُ) - المسمى بالفعل المضارع ، وهي بهذه الدقة في التوزيع المنظّم تدل على أن العقل الذي أنتج اللغة العربية يتميز بالدقة والتنظيم.

ملحق

نظرية الصفر وبعض أمراض الكلام

هل يمكن لعالم اللغة أن يتعاون مع الطبيب في تشخيص بعض الأمراض المتعلقة باللغة ؟

على الرغم من أنني لست متخصصة بهذا الموضوع ولا ادعي أنني مطلعة تماماً على ما توصل إليه العلماء في هذا الجانب ولكن يبدو لي – وعذراً إذا أخطأت – أن بإمكان عالم اللغة أن يتعاون مع الطبيب في معرفة المنطقة المصابة وتحديدها تحديداً دقيقاً ، وسأذكر هنا المنطقة المصابة والحالة التي يكون عليها المصاب كما أتوقعها خاصة بعد أن توضحت المراحل التي تمر بها الفكرة حتى تصبح جملة منطوقة أو مكتوبة .

1- يمكننا أن نتصور إذا أصيب دماغ إنسان ما إصابة معينة تعطلت بسببها منطقة نشوء الأفكار وانبثاقها فإنه عند ذلك لا يستطيع تحديد العلاقات أي لا يربط بين الأشياء ولا يختار الكلمات المناسبة وكل الذي يمكن أن يسمع من هذا المصاب ألفاظ متناثرة مستعملة أو غير مستعملة أي هذيان .

2- أما إذا تعطلت عند المصاب المنطقة الخاصة بمرحلة تحديد المعاني الذهنية الرابطة التي تعمل بتنظيم هرمي فتقوم بتحديد العلاقات والربط بين المفاهيم التي تحتوي عليها الفكرة (وهي المنطقة التي يختص بها علم النحو) فان ذلك سيؤدي إلى أن ينطق المصاب بألفاظ مستعملة أو معروفة ولكن لا رابط بينها أي من غير معان ذهنية تربطها بطريقة منظمة كما في هذا المثال : (السيارة ، أبي ، الشارع ، دهست ، في ، المجاور) فالفكرة هنا موجودة في ذهن المصاب بمحتوياتها كافة والكلمات كل واحدة منها صحيحة ، ولكن ليس ثمة تحديد للعلاقات بينها لذلك لا نجد رابطاً يربط الكلمات ، ولو كانت منطقة تحديد العلاقات بين الأشياء وربطها تعمل بدون خلل أي بانتظام لقال : (السيارة دهست أبي في الشارع المجاور) .

3- أما إذا تعطلت عند المصاب منطقة اختيار الكلمات من الخزان أو أصابها بعض الخلل فإن المتكلم يمكن أن يقول (هرس البارق) بدلاً من (هرب السارق) ويمكن أن يقول

(ارضكوا وراءه) بدلاً من (اركضوا وراءه) فالفكرة هنا موجودة أي منطقة نشوء الأفكار سليمة ، ويستطيع تحديد العلاقة بين الشيئين وهي علاقة الإسناد أي أن منطقة الربط بالمعاني الذهنية سليمة أيضاً ولكن الخلل في الكلمات إذ لم يختر الكلمتين المستعملتين عادة لهذا المعنى المعبر عن الفكرة وبعض الحالات تحصل عند الخوف والهلع والإسراع في التكلم .

4- إما إذا تعطلت عند المصاب منطقة اختيار الكلمات أي الخزان تعطلاً كلياً فان المصاب لا يستطيع إنتاج الجمل رغم أن منطقة نشوء الأفكار سليمة ومنطقة تنظيم الجمل سليمة غير أن سلامة هاتين المنطقتين لا تبدوان إلا من خلال الكلمات المرتبطة مع بعضها بانتظام والكلمات غير موجودة لأن الخزان مضروب ومثل هذا المصاب لا يمكنه التعبير عن أفكاره لا نطقاً ولا كتابه مع أنه يفكر بطريقة سليمة .

5- أما إذا تعطلت عند المصاب منطقة الإيعاز إلى جهاز النطق فقط فالمصاب عند ذاك يستطيع التعبير عن أفكاره كتابة لا نطقاً لأن منطقة انبثاق الأفكار سليمة ومنطقة تحديد العلاقات بين الأشياء التي تحتوي عليها الأفكار سليمة وتعمل بانتظام ومنطقة اختيار الكلمات سليمة أيضاً وإنما العطل في منطقة محرك جهاز النطق لذلك فهو يستطيع كتابه ما ينتجه من جمل ولكن لا يستطيع نطقها .

The Discovery of (Zero) in Language
And
its Impact on Arabic Syntax .

Dr.Sana .H. Al-Bayati

Baghdad University

Many years ago when i was researching about the truth of language , i reflected hard within my own brain and found out the basic rules of Universal Grammar , then I took the key of the Arabic Language to enter Arabic Grammar from these basic rules, I achieved great results in correcting Arabic Grammar, and may it be that other languages could achieve the same results in correcting their Grammar if linguists took its key from these basic rules.

Sana

What is Zero in Language ?

A language is a set of sentences. A sentence is what expresses a full idea. It originates in the human mind to express its idea . the mind organizes the items that comprise the idea . it is this organizational stage during which the idea develops into a sentence that is called here the Zero stage ,which locates in the mind.

The **Zero** then is the stage between the emergence of each of the idea and the sentence that expresses it . it is the stage of establishing sentences in the mind according to a certain system .in fact as the zero in mathematics is the stage of the starting – point of numbers ,the Zero in language is the starting – point of producing all sentences in language .

The Search for Truth is behind the Discovery

The starting – point was with my M.A. program in the eighties when I was satisfied neither with the philosophically rooted traditional Arabic Syntax nor with the contemporary linguistic approach in spite of its relative usefulness . I exerted great efforts in my attempt to erect the proper scientific foundation upon which one can build the sound semantically- based syllabus .

As a matter of fact , I tried my best to sense what happens in the mind as the thought emerges by using my mind as an experimental lab. In this way I arrived at my discovery : the Zero is the System through which the brain produces all the sentences of any language . I discovered as well that this sentence-producing lab consists of three components :

1- The first component specifies the general meaning of the idea : the idea is positively informative if its meaning is specified without a particle and is interrogative, negative or conditional if its meaning is specified with a particle .

2- The second component is responsible for relating the various parts of the idea to each other by determining the semantic relations among them . this component works pyramidically

There are practically four chief mental meanings that cohere the different parts of the idea to each other . the central meaning upon which the sentence is built is called the \Isnaad**(Support)** which stands at the top of the pyramid and upon which the sentence is formed . It relates the subject to its predicate .

The three other meanings are: \Taxsees**(Restricting),** \Ithafa**(Adjunction)** and \Tawtheeh**(Clarification).**

3- In this component which acts as the store of the words of the language the suitable words are chosen to refer to the things that have been linked to the above- mentioned mental meanings.

In this way , the idea comes out of the lab as a meaningful sentence consisting of semantically interrelated words .

It may be mentioned here that the distinguishing rule by which all languages abide in order to avoid vagueness , demands that the specification of the general meaning of the idea is carried out either

through a particle (like interrogative and conditional ideas) or without a particle (the positive informative idea).

Particles vary with the variation of the general meaning . thus negation , interrogation and condition have their own particles , if the same particle happens to appear in more than one of these three ideas , it is the syntactic organization of the sentence that tells which idea is meant : \man\ (who) for instance:

Who reads well?

Who reeds well benefits more.

To illustrate how a positive informative sentence is formed in the mind before it is born , one may try to sense what happens in the brain after the emergence of a specific idea and before expressing it in a sentence. Let us take this example :

The book is useful

We first feel that an idea appeared in a rather foggy way . It contains a set of things in the form of concepts . these things are the idea's parts or foundations .

When the brain takes the decision to verbelize it , this idea enters the Sentence- producing lab : the sentence starts its formation by specifying its general meaning without a particle . the sentence moves then to the second component which acts as a linking directorate and which specifies the relation between the two things or foundations that constitute the content of the idea : the concept of the book and the concept of usefulness.

Then the support steps forward to relate the two concepts in the way the native speakers of a certain language agree upon . Now the suitable words are chosen from the third component :

The word **book** is chosen and unites with **useful**. In this way the support relates the subject **book** to the predicate **useful**.

The way reference is made to this mental meaning which joins the two words is language- specific. Arabic has chosen the diacritics to refer to it thus only after the two parts of the mental meanings are related , words are chosen semantically , morphologically and phonologically .

As for the three meanings in addition to the support , they have their own jobs in sentence production :

The **restricting** relates the various objects , the circumstantial of state , the specification , the exception and the specified . each object has its own direction in the restricting : the direct object is the recepient of the action of the doer while the adverbial object shows the time of the action . concerning **adjunction** , it relates the genitive to what is annexed to it . Unlike English which uses the word (of') for adjunction , Arabic has no particle for it

English:the book of the boy .

Arabic : book the boy

The second kind of adjunction is preformed through prepositions .

As for **clarification** , it relates the adjective , the emphasis and conjunction .

All of this shows how the mental meanings move toward narrowing in order to specify the idea in the proper way , and how all the words of a sentence are interrelated right from the top of the pyramid and gets various branchings .

In this way , such sentences are the interrogative , the negative and the conditional ones specify their general meanings through particles or another way which embraces the whole idea .

The following diagram illustrates these stages of sentence productoin :

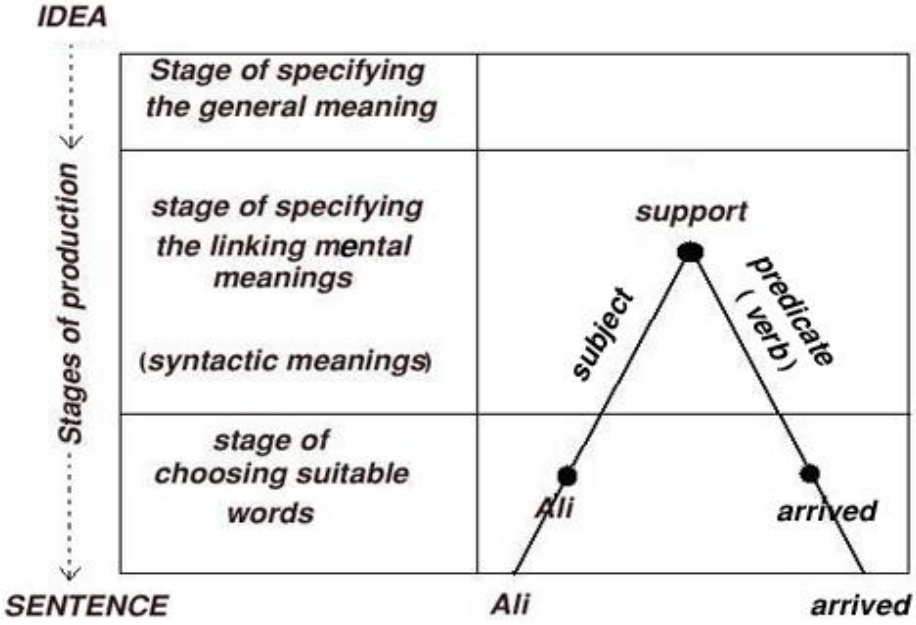

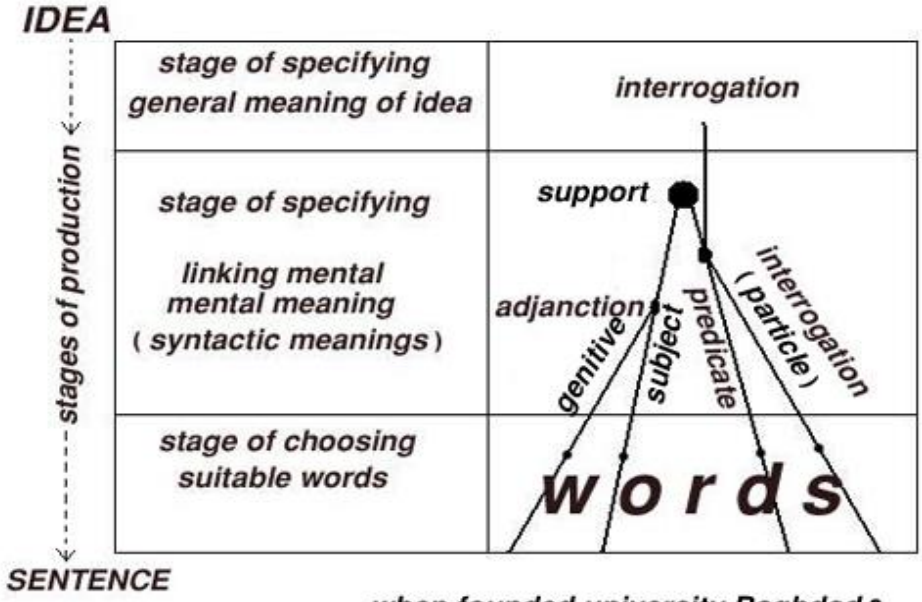

when founded university Baghdad ?

when was the uniersity of Baghdad founded ?

All this elaboration does not mean that there is a noticeable time that elapses between the emergence of the idea and the formation of the sentence .

I think that proceeding form the brain in studying the sentential system is the only proper scientific way of describing sentences. this can be supported by the fact that certain areas of the brain are designed for language only . However, these linking mental meanings are too obstruct to be easily described objectively .

The study of these linking mental meanings is the domain of "syntax" : (support) stands at the top of the pyramid then the three other meanings are related to this central one . It is these linking basic meanings that form the stage of the **Zero** . this stage underlies in fact all the major assumptions and the basic syntactic rules that are common for all languages ; put together , these rules constitute universal grammar . All sideway rules are language- specific .

The Practical Impact of this Discovery on the Syntactic Syllabus

This discovery has enabled me to put forward a new syllabus for Arabic syntax in which I benefited a lot form the famous Arabist al – jurjaani (died 471 A.H) and various other Arabists . the discovery of the zero has factualized the accuracy of the rules of universal grammar from which the rules of every language derive .

The Practical Impact of this Discovery on Arabic Syntax

The new syllabus which I built on the concept of the zero in my **original book** has its own advantages :

*It is fully concerned with the strong interrelationships between form and meaning.

*It proceeds from the whole to the parts :

We know first the types of the sentence then we move to the details such as the verb , the subject and the direct object..

* It does away with the philosophical roots which cling to traditional Arabic syntax.

* It annuls the unnecessarily sophisticated classification of the Arabic verb the traditional school suffers form . Traditionally , a sentence like :

I thought the man guilty

Comes from the informative sentence

The man (is) guilty

Then the verb 'thought' came forward to determine the final endings of both the subject "the man " and the predicate "guilty "

Contrariwise , the new system refuses to say that one sentence is derived from another .

*Unlike the traditional approach to Arabic syntax , which unnecessarily implies the existence of certain (omitted) elements in a sentence , the present system takes the sentential form as it actually is .

*The new program has succeeded in shedding light on certain verbal semantic features that have been overlooked by traditional Arabic grammar :

The baby was about to drown

(The English word 'about' is counterparted by a helping verb in Arabic)

Traditional grammar simply looks at the occurrence of the action and the time .Here one may realize that the action has not taken place , So the new system distinguishes between the action and the occurrence.

*Again unlike the traditional school , the new syllabus makes the proper distinctions between what may be called time and tense .By resorting toward-for-word translation , one may say :

If you studied, you passed

Here there is a verb which is past by form and future by content .

*A passive sentence , according to this approach, is not derived from its active counterpart .

*The new program has extensively dealt with infinitives and verbal nouns in Arabic , in an attempt to put things in their proper places .

*-It tried to substitute functional terms for words whose names simply refer to there places in their sentences . the word for "subject" is \mubtada\ which literally means: "what we start the sentence with" . So , a better name can be : "what is informed about " .

*The final ending of words that is syntactically determined should be described as clearly and as simply as possible .

*-The new syllabus has shown how precise and logical the Arabic language was in selecting the proper case–endings of inflected words: the nominative case for support , the accusative case for restricting and the genitive case for genitives with or without particles .

As for the parts of speech that follow certain words (e.g. adjectives and emphatics) , they acquire the same endings as the words they follow :

The useful book is here Al-kitaab**u** Al-mufeed**u**

I read **the useful book** Al**-**kitaab**a** Al-mufeed**a**

I pointed to **the useful book** Al-kitaab**i** Al-mufeed**i**

Finally ; the present syllabus is an attempt to build a scientifically-based Syntax. It has benefited a lot from Arabic traditional syntax .However , it does welcome all suggestions to add more and more to it so that it may arrive at a more satisfactory level .

المصادر والمراجع

- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر 1973م
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة ، بيروت 1978م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي ، الطبعة الأولى ، بيروت 1963م.
- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، الدكتورة سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر الأردن، الطبعة الأولى 2003م.
- نظام الجملة العربية، سناء حميد البياتي، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة بغداد 1983م،

فهرس الموضوعات

- المقدمة.....3
- ما هو الصفر في مجال اللغة؟.....4
- نظام مرحلة (الصفر) في الدماغ.....4
- توضيح.....6
- مخطط لمراحل إنتاج الجمل في الدماغ.....12
- نظرية الصفر للنحو الكلّي.....14
- قواعد النحو الكلي

القاعدة رقم (1)..... 15

القاعدة رقم (2)..... 16

القاعدة رقم (3)..... 17

القاعدة رقم (4)..... 18

- اختبار النظام على بعض اللغات.....19
- الفرق بين نظرية الصفر والنظرية التوليدية التحويلية.....20
- نتائج تطبيق نظرية الصفر في اللغة العربية.....21

أولا: كشف إعجاز القرآن الكريم نحويًا..... 21

ثانيًا: تسهيل تعليم أية لغة للناطقين بغيرها..... 22

ثالثًا: حوسبة اللغة..... 22

ربعًا: إصلاح جذري لمناهج تعليم قواعد اللغة العربية..... 22

خامسًا: العلامات الإعرابية دليل على العقل العربي المنظم... 27

- ملحق/ نظرية الصفر وبعض أمراض الكلام..... 31
- نظرية (الصفر) باللغة الإنكليزية..... .. 33
- المصادر والمراجع 44